البكوات المماليك وأوضاع مصر فى نهاية القرن الثامن عشر من خلال تقارير القناصل الروس فى مصر

أ.د. جينادى جارياتشكين

تأسست القنصلية الروسية العامة فى الاسكندرية فى نهاية القرن الثامن عشر١ وأخذ الحوار الروسى - المصرى الحضارى والثقافى فى التنامى والإزدهار فى ذلك الوقت. ومن خلال الحجيج والرحالة وقادة السفن التجارية الروسية التى كانت ترسو فى ميناء الإسكندرية، ومن خلال بيانات وبلاغات السفارة الروسية فى القسطنطينية، كانت الحكومة الروسية تتابع أخبار أكبر ولاية من ولايات الإمبراطورية العثمانية وأوضاعها السياسية والاقتصادية. كما كانت أيضاً على دراية بمساعى حكام هذه الولاية إلى الإستقلال والانفصال عن تركيا، وعن وعن أكبر إنتفاضة قادها على بك الكبير ابتداءً من الثلث الأخير من القرن الثامن عشر والتى كادت أن تؤدى إلى استقلال مصر- نسبياً.

ومع مراسم تتويج الإمبراطورة الروسية بكاتيرنيا الثانية (سنوات حكمها إمتدت من ١٧٦٢ وحتى ١٧٩٦) توترت بشكل ملحوظ العلاقات الروسية - التركية، وفى عام ١٧٦٨ نشبت الحرب الروسية التركية الاولى، ولم تكن روسيا على إستعداد لهذه الحرب، لولا أن فرنسا كانت تدفع تركيا إليها؛ فقد كانت روسيا فى طريقها إلى إنشاء أسطول حربى حديث. ودفعت هذه الحرب الإمبراطورة الروسية إلى تنظيم حملة إلى البحر المتوسط مباشرة. وفى خضم تلك الظروف حدث تقارب بين روسيا والولايات العربية . إذ أن مساعى الإمبراطورة الروسية كانت لها مسوغاتها ومبرراتها؛ حيث كانت روسيا تواجه مشكلة تحديد وترسيم حدودها الجنوبية والخروج بها إلى سواحل البحر

الأسود، حيث أنهارها الرئيسية تصب هناك الأمر الذى كان يتوقف عليه التطور الإقتصادى الروسى فى جنوب البلاد، ومع ذلك فإن صلات روسيا المباشرة مع بلدان أوروبا لم تكن كافية لتأمين الملاحة فى البحر الأسود ولذلك كانت بكاتيرنيا الثانية تضع فى حسبانها ضرورة إعتبار حوض البحر الأبيض المتوسط مركزا لتجمع الصلات الإقتصادية والسياسية والثقافية الهامة بين أوروبا وافريقيا، ودوره الرئيسى فى السياسة الأوربية والتركية. لذلك حرصت على ضرورة تعزيز التواجد الروسى فى هذه المنطقة والذى سيعطيها وضع الدولة "الروسية" العظمى. من احية أخرى كانت الإمبراطورة الروسية تولى إهتماماً كبيراً باستعراض مقدرة وقدرة دولتها للرأى العام الأوروبى. واستعدادها وتأهبها للأحداث المقبلة، وإمكانية إسهامها الحربى فى البحر المتوسطوز لذا تعززت العلاقات الدبلوماسية مع إنجلترا وجمهورية فيسنسيا، التى كانت ترسل إليها، كسفير، ماروتشى اليونانى- الروسى الذى كان على دراية جيدة بحوض البحر الابيض المتوسط (سنذكره كثيراً فى ملاحقنا لاحقاً)

كما تحسنت بشكل ملحوظ علاقات روسيا مع مالطا وجمهورية رما. ويكلف هؤلاء -إلى جانب مهامهم الأساسية- بمتابعة المسائل المتعلقة بخروج الأسطول الحربى الروسى إلى البحر الأبيض المتوسط. إذ أن القيام المباشر بنهج "البحر المتوسطى" كان مرتبطاً بأسماء وزير الخارجية الروسى بانين وإخوان أورلوف ، اليكس وجريجورى وكانوا من المقربين الوثيقين بكايترينا الثانية.. وكانت الحكومة الروسية فى فمهمتها هذه تعتمد على اليونانيين الذين كانوا يساعدون الأسطول الحربى الروسى وهم يعملون كقادة للسفن الروسية وكمرشدين وكأفراد إستطلاع وكمعلمين ومدربين لأنهم كانوا يعرفون الشرق جيداً وكانوا بمثابة الجسر بين الدول الأوروبية. وبدأت الحملة الأولى إلى جزر أرخبيل فى عام ١٧٦٩م.

فماذا كانت أوضاع العرب ؟

ترى المصادر العربية التفاعل الروسى- العربى السياسى والحربى كأحداث كانت تجرى خارج الحياة السياسية للعالم العثمانى العربى بشكل ثانوى ومن الدرجة الثانية إذ كانت السلطة التركية المركزية تندمج فى السياسة الأوروبية. فيما بقيت المحافظات العربية خارج العالم الأوروبى تماماً وكانت منغمسة فى اللعب وحياكة المؤامرات والدسائس المحلية.. بيد أن كفاءتها الذاتية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية كانت تتلاشئ بالتدريج وتأثرت بالتغييرات السياسية والإجتماعية التى حدثت داخل المجتمع العربى ومن ثم بإدماج الولايات العثمانية فى سوق الاقتصاد العالمى وتسببت مثل تلك الأوضاع فى تطور التضامن السياسى العربى إلى حد ما وتجسد ذلك بوضوح فى مصر حيث إكتسبت طابعاً معادياً للعثمانيين .. ويدور الحديث عن إعلان على بك الكبير لسلطنه منعزلة عن الباب العالى ووفقاً لأمانى المماليك كان مدعواً لإحياء دولة المماليك فترة ما قبل العهد العثمانى. وكانت الحرب الروسية - التركية عام ١٧٦٨ - ١٧٧٤ بالذات فرصة لعلى بك الكبير للقيام بمحاولة الإنفصال عن الإمبراطورية العثمانية.

وحسب المصادر، كان سبب رفض على بك الكبير خضوعه للأتراك ينحصر فى استيلائه على فرمان الباب العالى؛ والذى كان متضمنا إتهامه بإتجاه نيته للإنضمام إلى روسيا وتزايد الحديث عن الأمر بإعدامه وبالتالى فإن مسألة إقامة العلاقات مع روسيا التى كانت بدورها تحارب تركيا / كانت فى طريقها إلى الظهور والنشر. وعزم على بك الكبير بنفسه أن تنفذ هذه الخطوة بعد الإستيلاء على الحجاز وبعد عام على معركة تشسمين. وجه على بك الكبير برسالة إلى اليكس أورلوف الذى كان متواجداً فى ذلك الحين فى إيطاليا بإمرة الإمبراطور والتى إقترح فيها عقد " الاتحاد " الأبدى مع حكومة سموها والمواجهة المشتركة مع العدو كما عرض عليه إستعداده لإمداد الأسطول والجيش الروسيين بالمؤن والمواد الغذائية والنقود حال نقص عند الروس. والنبيل أورلوف

إستجاب لهذه الرسالة كان السفير الروسى النبيل ماروتس يلعب دوراً هاماً فى إحداث التقارب الروسى - المصرى فلقد أرسل أناساً أمناء إلى على بك الكبير بهدف التعرف على نواياه تحديداً. ومنذ ذلك الحين لم تخلو صفحات المراسلات بين بكاتيرينا الثانية ومولیتر من إسم على بك الكبير، فكانا يناقشان فيها هزائم وإنتصارات على بك بشكل جدى. وفى ذات الوقت وجه على بك قواته إلى الحجاز وإتخذ بعض الخطوات العملية لإقامة علاقات حيوية بين مصر وبلدان أوروبا؛خاصة مع جمهورية فينسيا لكنها تريثت فى اتخاذ الإجراءات المناسبة من جانبها خوفاً من إساءة علاقاتها مع الباب العالى. وأخيراً تسلم الجانب الروسى رد والى مصر قيل فيه إن على بك أبدى سروراً من عمليات النبيل أورلوف حيث أحكم أسطولة الحصار على سواحل البحر المتوسطية - التركية وكان ذلك بمثابة ضربة قوية لتركيا. وبعد سلسلة من العمليات الهجومية فى الجزء الشمالى الشرقى لحوض البحر الأبيض المتوسط التى ساهمت فى تأمين السيطرة الكاملة للأسطول الحربى الروسى على هذه المنطقة. فقد وجه أورلوف بعض المراكب الحربية من القاعدة فى راجوزه على جزيرة باروس متجهة فى طريقها إلى سواحل إفريقيا وقد أقام مبعوثه صلات واسعة مع والى مصر قبل بداية نوفمبر ١٧٧١ ثم نقلوا له رسالة على بك والتى لم يكشف النقاب عن مضمونها أما رد النبيل اليكس أورلوف فمعروف لدينا حيث قيل وقتها أن رده تضمن على وجه الخصوص - مسألة فتح الموانئ المصرية للمراكب الحربية الروسية وعن الأعمال المشتركة ضد الأتراك. وهكذا أقيمت أولى الصلات الروسية - المصرية عن طريق التقارب الحذر وكانت معبرة عن الإرادة الحرة للدولتين المستقلتين. وأعطيت هذه الصلات دلالة خاصة؛ فبالنسبة لبكاتيرينا الثانية، نجحت فى سياستها فى البحر الأبيض المتوسط. أما بالنسبة لعلى بك الكبير فبدخوله فى المفاوضات مع القيادة الروسية يكون قد تحدى السلطة التركية والعرب بإتجاههم التقليدى. وقد أثمرت هذه الصلات وبدأت خطوات عملية نحو إلحاق الإسطول

الروسى بالهزائم للأسطول التركى على ربوع السواحل المصرية -لا سيما من قائد مجموعة السفن الحربية الروسية، الروسى/ اليونانى الأصل أليكسيانو باناوتى الذى هاجم فى أكتوبر ١٧٧٢ المراكب الحربية التركية التى تجاوز عددها مجموعة مراكبه فى ميناء دمياط وأحرقها. لسوء الحظ ونتيجة مؤامر ة حاكها ضده أبو الذهب فى إبريل ١٧٧٣ لقى على بك الكبير حتفه ومات إلى الأبد . ينبغى هاهنا الإشارة إلى أن بكاتيرينا الثانية لم تكن تخطط لضم أراضى الغير لروسيا وذلك إبان الحرب الروسية التركية الأولى فى حوص البحر الأبيض المتوسط وأصرت على خضوع جزيرة أم جزيرتين فى الأرخبيل تحت التبعية الروسية وكان مستشارها الأساسى أليكس أورلوف ضد هذا التوجة - وكانت البلدان الغربية تعارض حضور روسيا السياسى والحربى إلى هنا فالأتراك بدورهم تساندهم الدول الأوروبية وكانوا يرفضون تقديم أيه تنازلات أمام روسيا بينما كان البحر الأبيض المتوسط مفتوحاً أمام روسيا طبقاً لإتفاقية كيوتشيوك - كاينارجى عام ١٧٧٤ وقد أنشأت وزارة الخارجية الروسية فى حوض البحر الأبيض المتوسط شبكة واسعة من الممثليات القنصلية تجاوزت فى عددها باقى القتصليات الروسية فى العالم .. لقد تم إنشاء القنصليات الروسية فى مصر وسورية٢ وكان لشبكة القنصليات الروسية فى تركيا مغزى كبير بفضل نشاط القناصل الذين تم تصديق الباب العالى على إعتمادهم وتواجدهم لأنهم كانوا يتابعون ويلاحظون خرق تركيا لبنود إتفاقية كيوتشيوك - كاينارجى وسائر الإتفاقيات المبرمة بين الإمبراطوريتين الروسية والعثمانية وكالعادة لم يكتف القناصل الروسى بجمع البيانات التلقائى عن ذلك الحزق للإتفاقية بل كانوا يتدخلون فى بنشاط فى سير الأحداث .. ففى أغسطس ١٧٨٧ بدأت الحرب الروسية - التركية الجديدة التى إنتهت بتحقيق النصر الكبير لروسيا وتم التوقيع على معاهدة السلام فى مولدافيا.

فى عام ١٨٩١ أكدت بنود إتفاقية كيوتشيوك - كاينارجى لسنة ١٧٧٤ وتمكنت روسيا من تغطية شبكة ممثلياتها القنصلية لكل أراضى الإمبراطورية العثمانية وإتضحت كل الأمور التى ترتبت على ذلك وفى مصر، على سبيل المثال؛ تم إنشاء القنصلية الروسية العامة بالإسكندرية بموجب أول قنصل روسى فى الإسكندرية وفى مصر كلها : الرائد بارون كوندراتى فون تونوى (كونراد) من مواليد محافظات بحر البلطيق وتؤرخ باتينته وفرمان تونوس فى ١ ديسمبر عام ١٧٨٤ : أن وصل القنصل العام الروسى إلى الإسكندرية فى الثالث من شهر يوليو عام ١٧٨٥ (تقويم قديم) وفى بلاغه الأول فى ٢٤ يوليو ١٧٨٥ والذى أبلغ منير وزير الخارجية لروسيا الإمبراطورية بلا غات تونوس من الإسكندرية وليفورنو فى سنوات (١٧٨٥-١٧٨٦) وقد وضع صياغة مذكرة عن إبعاد مصر عن تركيا٣.

هذه وثيقة هامة و طريفة فى نفس الوقت، ففى سنة ١٧٨٦ حاول الباب العالى إعادة سيطرته على مصر التى تراجعت أثناء محاولات على بك الأنفصالية فى السبعينيات من القرن الثامن عشر حيث نزل الأتراك إلى الإسكندرية فى يوليو ١٧٨٦ وهناك دلائل تشير إلى إتخاذ القنصل العام الروسى بعض التصرفات، بحيث ينظم مقاومة البكوات للأتراك وفى ١٥ يوليو من العام ذاته وجه وزير الخارجية للباب العالى مذكرة للسفير الروسى فى القسطنطينية يا .بولجاكوف، والتى عكست مطامح تركيا لضم لبعض الأراضى الروسية بما فيها محاولات لإستعادة شبه جزيرة القرم/ حيث طالب فى مذكرته : أقصاء القناصل العوام الروس من مولدافيا ورومانيا والإسكندرية.

- وفى السادس من ديسمبر عام ١٧٨٧ أى بعد ثلاث سنوات من بداية الحرب الروسية - التركية التى دارت رحاها فى أعوام ١٧٨٧ وحتى ١٧٩١ ووفقاً لبلاغات القنصل العام الروسى السابق فى الإسكندرية بارون تونوس فى ١٧٨٧

والتى تحدث فيها عن أوضاع مصر الحالية وإمكانية القيام بتغيير الحكم هناك وقد صرح رئيس مجلس الثورة بأنه طبقاً لهذه البلاغات فقد أمرت سموها الإمبراطورة بإستدعاء بارون تونوس إلى هنا فوراً لم يعود تونوس فى عامى ١٧٨٧ - ١٧٨٨ حيث كان متواجداً فى ليفورنو كما حضر إلى نابولى حيث كان مقز جنرال زابوروفسكى قائد الأسطول الحربى الروسى الذى كان من المقرر أن يتوجه إلى الجزء الشمالى الشرقى من حوض البحر الأبيض المتوسط وتم تكليف تونوس للقيام بمأمورية فى الإسكندرية.

- وفى السابع من فبراير ١٧٨٨ تقرر بشكل نهائى إرسال تونوس إلى الإسكندرية بهدف أستيعاب البكوات المصريين إلى الجانب الروسى من أجل الحرب الحالية ومستقبلاً ووفقاً لأرشيف السياسة الخارجية لإمبراطورة الروسية الذى ذكر : المشروع السرى من ١٧ فبراير ١٧٨٨

- تعليمات سرية بصدد إرسالة من جديد إلى مصر بالتكليف الخاص٤.

- ومن غير المعروف هل صدرت هذه التعليمات بشكل نهائى أم لا بالتحديد: كنا نميل إلى الإقتناع بصدورها على أيه حال فإن الثابت أن المشروع يعكس المخاطر التى كان يتعرض لها القنصل العام الروسى وتجدر الإشارة إلى الممارسة العملية فى سجن الدبلوماسيين للدول التى كانت تركيا تقوم بشن الحروب عليها وكان الدبلوماسيون سجناء فى ما كانت تسمى " القلعة ذات الأبراج السبعة " حيث لقى بعضهم حتفه وفى صيف عام ١٧٨٨ وصل إلى الإسكندرية قائد المركب المالطى تحت العلم الروسى الذى كان يقوم بعمليات قرصنه فى البحر الأبيض المتوسط.

- أن تفاصيل المأمورية الثانية لتونوس فى الإسكندرية وأصبحت معروفة لنا بفصل بلاغ نائب القنصل الروسى فى جزيرة زاند زاجوريسكى:

" السيد بارون تونوس بدأ نشاطه فى مطلع سبتمبر عام ١٧٨٨ عندما

إتصل من دمياط بإسماعيل بك فى القاهرة وطلب منه إن يصل إلى دمياط لرؤية أحد أصدقائه مبعوثاً من إحدى البلدان العظمى للمفاوضات التى تخدم مصلحته ثم توجه تونوس إلى القاهرة حيث تفاوض مع إسماعيل بك ومع الكثيرين الأخرين اللذين لهم علاقة بالحكم ، وقد قدم المبعوث الروسى الأوراق الرسمية التى كشفها] مدون فى التعليمات الروسية بالملاحق الخاصة لاحقاًه(٥) [ودعاهم إلى التخلص من النير العثمانى ووعد بتقديم المساعدة العسكرية وطالب الأتراك أن يسلم البكوات تونوس لهم فوراً لكن على حد تعبير زاجوريسكى : أهالى القاهرة كانوا يطلبون عدم التسليم للعثمانيين؛ إذ أنهم يريدون أن يصبحوا من أتباع روسيا وكان إسماعيل بك ينتظر أكثر من عام ظهور الأسطول الروسى ولذلك لم يسلم تونوس للسلطان.

أن السفير الروسى فى فينسيا أ. مردفينوف قد أرسلة بلاغة المشفر المؤرخ فى ٩-٢٠ من ديسمبر ١٨٧٧ وقال فيه عن حصوله على الخبز.

من مصر حيث ينص على أسر تونوس الذى كان يحاول عمل العصيان بين الشعوب المحلية وقد تقرر أن تقدم قضية تونوس إلى الوزير رئيس الوزراء العثمانى وأبلغ القنصل الروسى فى ليفورنومى. كالاماى فى مارس عام ١٧٨٩ عن وجود القنصل الروسى تونوس فى قلعة الإسكندرية وعن مقاومة البكوات المصريين لتسليمه للقسطنطينية وإبلاغاً عن موت القنصل العام الروسى البارون تونوس فى الإسكندرية فى ٢٨ سبتمبر ١٧٨٩ أفادى كالاماى: " يفترضون أنه شنق نفسه فى ليلة بإمرة السلطان الذى أرسل ضابطاً تركيا لتعجيل هذا العقاب٦" هكذا إنتهت هذه الصفحة السواداء من المرحلة الهامة فى تاريخ العلاقات الروسية - المصرية والدولية التى تحمل طابعاً خاصاً فيما يتعلق بالزمن وشخوصه وظروفه المحيطة.

الملاحق

ملحق رقم [1]

ملحق للمذكرة المقدمة إلى سمو الإمبراطورة

فى العريضة الأولى منعنى احترامى لكم من الدخول فى جميع التفاصيل التى لها علاقة مباشرة بخطتى .. لذلك فإننى سأعرض على سموكم الموضوع الذى يشغل بالى :

أولاً : حيث إن مصلحة روسيا تتطلب الإبقاء بشكل دائم على أسطول مراقبة فى البحر الأبيض المتوسط وحيث إن ذلك لا يتم إلا بنفقات ومصاريف باهظة فإننى اقترح لمصلحة التجارة وبأقل تكلفة للإمبراطورية بوضع هذا الأسطول أمام شواطئ مراكش حيث الانفاق عليه لن يتكلف ربع ما يتكلفه فى Livourne

ثانياً : يمكننا توقيع معاهدة مع إمبراطور مراكش يمكننا بموجبها الحصول بين طنجة وزهران على مرسى أو ميناء ليس فقط لإرساء سفننا بل أيضاً لإقامتها فى الشتاء ولترميم أحواضها ولإقامة مخازن بها وملأها بجميع أنواع المؤن بأسعار زهيدة.

ثالثاً : يقع المكان المقترح فى منتصف المسافة بين موانينا فى بحر البلطيق والبحر الأسود مما يتيح لأسطولينا الحربى والتجارى إمكانية الحصول على مكاسب جمة ، وسيعطينا هذا الموقع الفريد فرصة نشر تجارتنا فى جميع الاتجاهات ورصد ما يدور فى جميع الأنحاء ويتيح لنا تدريجيا فرصة تكوين تجارى وتوفير الحماية اللازمة له ولمصالحة ، وفضلاً عن ذلك فإن إقامتى فى هذا البلد ومعرفتى بلغة سكانه وعاداتهم تجيز لى بأن أؤكد لعظمتكم أنهم سيستجيبون لنا بطيب خاطر بل أنهم سيعاوننا على تحقيق أهدافنا.

أخيراً فإن جميع الدول الراقية تعد الآن الإمبراطورية الروسية من الدول العظمى فى أوروبا وتتشرف بالارتباط بها إما بمعاهدات .. وإما بروابط أخرى حتى ينضح عليها مجد حليفتها العظيمة ، وسيكون لفخامتكم الفضل فى إضافة حليف جديد لدولتكم كما سيكون لفخامتكم الفضل بمنح التجار مكاسب بحيث لن يملوا أبداً من الدعاء لعلو شان حاميهم .

ولى الشرف بأن أكون لسموكم الخادم المتواضع والمطيع

Tonus

بعد رحلة خالية من المتاعب دامت أربعة عشر يوماً وصلت إلى هنا اليوم الثالث من يوليو وقمت فى الحال بتسليم الفرمان الخاص بى إلى باشا القاهرة الموجود هنا حالياً .. كما سلمته إلى حاكم المدينة ، ولما تحققت من قبولهم له بدأت بالبحث عن منزل لوضع سارى العلم عليه وقضيت فى هذه المهمة حتى بعد ظهر الخامس عشر الفائت فقمت عن طريق سكرتيرى بإبلاغ قناصل الدول الأخرى بأنه فى الغد السادس عشر من الشهر فى الساعة العاشرة صباحاً سأقوم برفع علم فخامتكم وفى بعد ظهر نفس اليوم سأقوم بدخولى الرسمى إلى المدينة .

وهكذا صعدت فى اليوم التالى فى الساعة المحددة برفقة سكرتيرى والقائم بأعمال القنصلية وستة من البحارة الروس والفرقة الموسيقية إلى سطح منزلى حيث قمت برفع علم فخامتكم بكل المراسم وأعلنت عن ذلك بواحد وعشرين طلقة مدفع كانوا لهذه المناسبة قد اصطفوا أمام منزلى وفى الحال قام جميع قناصل الدول الأخرى والأربعون سفينة الراسية فى الميناء بدورهم وبكل هيبة برفع أعلامهم وأطلقوا ثلاث طلقات تحية منهم لنا .. أما قلعة الحاكم وسفنه الحربية الثلاث فقد اطلقوا خمس طلقات وقاموا بتحيتى عن طريق الترجمان الخاص بهم .

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر نفس اليوم قمت بالدخول الرسمى ممتطياً الفرس (وهذا الامتياز لم يحصل عليه إلى اليوم أى من قناصل الدول الأخرى ولم يتجرأوا أن يطالبوا به وذلك بالرغم من الدسائس والمؤامرات الخفية للقناصل الآخرين والتنبؤات السيئة والتهديدات التى وصلتنى من أشخاص محليين .. لقد صمدت ولم ادع الرعب يقتلنى لأننى كنت أؤمن بأنه فى مقدورى تحقيق هذا الشرف لبلدنا) يتقدمنى رئيس شرطة المدينة يليه مائتان وثلاثون من الإنكشارية فى صفين يليهم ترجمانات وإنكشارى القنصليات الأخرى فى زيهم الرسمى وتبعنى رعاياى وسكرتيرى ومدير أعمالى وعشرة من الإنكشاريين استقبلنى الباشا بحفاوة وشرفنى بالجلوس بجواره ونصحنى بزيارة مراد وإبراهيم بك فى القاهرة ليس فقط لأن العادة قد جرت بأن تقوم جميع الدول بذلك ولكن لأن فيها أيضاً الحماية لعملى ولشخصى فيتحتم على السفر للتعارف خلال مدة ثمانية أيام فأجبته بأننى لا أحمل معى أى تعليمات بخصوص هذا الموضوع وعلى أولاً أن أعرف نية الوزارة بخصوصه ومن ناحية أخرى فإن القلاقل والثورات فى البلد لن تمكننى من تحقيق هذا الغرض وأمام تصميمه وقوله أن فى ذلك إضاعة للوقت وأن تقاريرى يمكننى تأجيلها وأن العرف جرى فى البلاد على ذلك وأن حمايتى تحتم ذلك وأنهم سيمدوننى بحراسة كافية تعللت لكسب الوقت حتى تصلنى التعليمات من طرفكم بضعف صحتى من طول السفر والغرق فى المناخ والحرارة الزائدة فى مثل هذا الوقت من السنة وترجوته على الموافقة على تأجيل هذا السفر حتى نهاية شهر يناير المقبل حيث الجو انسب ورجوته بتوصيل اعتذاراتى إلى مراد وإبراهيم فتفهم أعذارى ورضى بها يعود ترددى عن السفر بالإضافة إلى الحراسة الكبيرة التى يتطلبها بسبب الثورات داخل البلاد يعود أيضاً إلى أن هذا السفر يحتم تقديم هدايا كثيرة للبكوين وحاشيتهم الكبيرة وذلك بتكاليف باهظة ولكن بعد البحث ومن المعلومات التى وصلتنى تأكدت أن العرف قد جرى وهذا يبدو لى أساسياً على الحصول من الحكومة المصرية التأييد على مباركة مهمتنا وإلا عانت من كثير من العوائق والصعوبات علم البكوات بطريق غير مباشر بوصولى هنا فكتبوا لى خطابات

لطيفة وابلغونى بأوامرهم الخاصة بى إلى حكام الإسكندرية أرفقت الرسائل الأصلية مع صورها باللغة الإيطالية إلى ديوان وزارة الخارجية ، ومن عند الباشا انتقلت إلى الجمارك كما جرت العادة هنا وتم استقبالى أيضاً أحسن استقبال ومنها عدت إلى بيتى ترافقنى طلقات المدفع والموسيقى مما أذهل جميع الأوربيين .. أقيمت هذه المراسم بهدوء كامل ونظام تام وفى الليل أنزلت العلم على طلقات واحد وعشرين مدفعاً .. وفى الثامن عشر من الشهر الساعة العاشرة صباحاً قام قنصل فرنسا العام بزيارتى يتقدمه انكشاريته وترجمانه وجماله يتبعه جميع رعاياه ، ومن بعده جاءنى على التوالى وبنفس المراسم القنصل العام للبندقية والقنصل العام لهولندا ونائب القنصل الإمبراطورى الملكى ونائب قنصل السويد ونائب قنصل راجو Raguse وفى بعد الظهر من نفس اليوم وفى نفس الترتيب يتقدمنى الإنكشاريون وتركماتى وسكرتيرى ورئيس الديوان قمت بدورى بزيارتهم .. حيث أنه كان لى شرف اخطار سموكم فى هذا المكتوب بتفاصيل رفع علم سموكم كما وصفت إقامتى هنا فسأوافيكم برسالتى المقبلة بجميع التفاصيل الخاصة بالحكم السياسى والتجارى.

أضفت إلى ديوان الخارجية الخريطة الطبوغرافية للبحر الأحمر والمعاهدة بين فرنسا وحكومة مصر والخاصة بتجارة الهند وتمكنت من الحصول على صورة منها بالرغم من كل الاحتياطيات التى اتخذها الفرنسيون لمنع تسرب أى من صور لها.

تفضلى سموكم من تشريفى بمواصلة حمايتكم لى وعطفكم على ذلك أنهما أملى وعزائى الوحيدان فى بعدى السحيق عن وطنى .. وأرجو سموكم بالمحافظة عليهم

وتفضلوا بقبول فائق تقديرى واحترامى لسموكم ،،

الإسكندرية فى ٢١ يوليو ١٧٨٥

خادمكم الخاضع والمطيع

بارون تونوس

ملحق رقم 5 [2] نوفمبر ١٧٨٧

سعيت جاهداً منذ وصولى إلى مصر لكسب صداقة كل من إبراهيم ومراد بك كاظم الأول من مواليد Diflis وهو من أصل كريم (عائلة كريمة) كما حاولت أساساً كسب صداقة كاظم بك وهو من مواليد Bachmouth واسمه Si-mon Kyrilovitz يتكلم الروسية ويكتبها بطلاقة .. وصلنى من الوزير فى القسطنطينية أمراً بمواصلة الاتصال بالبكوات المذكورين عاليه ، وبعد عام من قدومى إلى مصر أرسلت إلى هذا الوزير باللغتين العربية والروسية الأصول الخاصة بمراسلاتى مع البكوات المذكورين عاليه فأتاح هذه الفرصة للتأكد من أننى كنت قد استحوذت على ثقتهم.

لما وصل Capitan Pacha بأسطوله إلى الإسكندرية ووصل عابدين باشا عن طريق البر من ناحية Orfa مزوداً بعشرين ألفاً من الخيل أرسل إلى البكوان المذكوران عاليه اعرابياً يحمل رسالة تعيننى وسيطا لهما كما أنهما حدداً فى هذه الرسالة الطريقة التى على اتباعها فى مفاوضاتى مع Capitan Pacha لإحلال السلام بينهما وبينه .. قمت بعمل نسخة من تلك الرسالة وبعثت بها إلى Capitan Pacha حيث كان يعسكر مع جيشه قرب مدينة رشيد بعد ثلاثة أيام وصلنى رده الكتابى يطالبنى فيه باخطار البكوين بأن وقت التفكير فى أية تسويات قد فات وأنه تلقى من سلطانه أمراً باصطحابهما إلى القسطنطينية أحياء كانا أو أمواتاً .

أرسلت إلى الوزير فى القسطنطينية رسالة تعيينى وسيطاً للبكوين ورد Capitan Pacha عليهما .. لا أنكر اهتمامى الشديد بمصير هذين البكوين كما أننى اعترف بأننى قدمت لهما كل النصائح الخاصة بالعمليات التى باشرها Capitan Pacha ضدهم ، ومنذ اللحظة التى سلمت فيها Capitan pacha نسخة من رسالة البكوين بتعيينى وسيطاً لهما تنبه هذا الأخير إلى حتى وصل به الأمر إلى مراقبتى مراقبة لاصقة ، ومع ذلك فإنه لم يتمكن أبداً من اعتراض أى

من رسائلى ولا حتى اكتشف أى من مناوراتى حيث كان هذان البكوان يبعثان إلى دائماً مملوكاً يتكلم الروسية متخفياً فى لباس أحد الإعراب ، ومن ناحيتى حتى لا أثير الشك فى نفسه اعتدت التنزه يومياً على بعد فرسخين أو ثلاث من الإسكندرية فى الأماكن التى كنت فيها على موعد مع هذا المملوك .

نصحت البكوين المذكورين عاليه بالانسحاب إلى داخل مصر العليا حيث يمكنهم تحت وطأة هذا المناخ الحارق من إرهاق جنود Capitan Pacha بعمليات شاقة من الكر والفر حتى وصل الحال بـ Capitan Pacha إلى التحصين داخل القاهرة وطلب الهدنة مع هذين البكوين ، وفى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير من السنة الماضية جائنى مملوك من طرف إبراهيم ومراد بك يخطرنى بأن سيداه يرجوان منى الذهاب إلى الصعيد حتى يطلعانى على ما يدور فى ذهنهما واعترف بأننى دهشت كل الدهشة لطلبهما هذا ولكن بعد كثرة إلحاحهما تخفيت فى لباس إعرابى وبعد ان كنت قد أشعت فى مدينة الإسكندرية أننى أعد لزيارة آثار معبد جوبيتير آمون Jupiter Ammon سافرت يوم ٢ فبراير وبعد ثمانية أيام من السير فى الصحراء على الأقدام صادفت فيلق من ألف مملوك يرافقهم مراد وإبراهيم بك كما كان معهم كاظم بك وهو الروسى الذى استخدمه كترجمان وعن طريقه أخطرنى مراد وإبراهيم بك بأن Capitan Pa-cha عرض عليهما مقترحات سلام وطلب منهما الذهاب إلى القاهرة لمناقشته هو شخصيا.

وطالبا منى بوضعهما حلفين أمينين ومخلصين لروسيا بأن أطلعهم بصراحة على رأيى بخصوص هذا الموضوع .. فأجبتهما بأننى لا أملك أوامر صريحة من وزارتى للتدخل فى شئونهما ولكن نظرا لكرمهما معى فى السابق فقد قبلت بتزويدهما بنصائح أظنها ضرورية لهما .. ونصحتها بعدم الذهاب إلى القاهرة والاعتصام داخل Esux وهى عبارة عن حصن بين مصر السفلى ومصر العليا. ومن هذا الموقع إخطار Capitan Pacha بإرسال مفوض عنه لمنافشة السلام معهما .. وحصلت منهما فى حالة توصليهما إلى السلام مع

Capitan Pacha

على وعد بإعفاء الحديد المستورد من البحر الأسود من أى ضريبة (وقد اتفقنا على ذلك كتابة) وفضلا عن ذلك فقد قبلا فى حالة عودتهما إلى القاهرة على منحى كل لصالح وخدمة بلدنا. وفى اليوم التالى وبعد أن كانا قد عاهدانى صداقة أزلية أكدا لى أنهما سيظلان الحليفين المخلصين لبلاطنا عدت إلى الإسكندرية.

فى اليوم السابع عشر من شهر مايو وصلتنى رسالة من ترجماننا فى القسطنطينية مرفقا بها شكوى ضدى مقدمة من Capitan Pacha إلى الباب العالى. فبرأت نفسى تماما من التهمة الملصقة بى وطالبت بإظهار أى كتاب صدر عنى وقام Capitan Pacha بإعتراضه وهذا ما استحال تحقيقه.

فى اليوم العشرين من مايو أرتحت تماما عندما وصلنى من إبراهيم ومراد بك نبأ حصولهما على اتفاق سلام لصالحهما مع Capitan Pacha وفى الرابع والعشرون من الشهر نفسه قمت بإخطار وزيرنا فى القسطنطينية بهذا الخبر.

فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس تم القبض على جزافا فى منزلى. فى الحال وقمت بإرسال أحد القواسين الأمناء إلى إبراهيم ومراد بك مطالبا حمايتهما

فى الثامن والعشرين وصلنى من حاكم الإسكندرية أمراً بإنزال العلم. اعترضت على إجراء كهذا قائلا له لم يصلنى ما يفيد بأننا فى حالة حرب مع الباب العالى وفى هذه الأثناء أرسلت إلى البكوين المذكورين عاليه رسالة عاجلة أخرى.وفى الثامن من سبتمبر تم استدعاء مترجمى مع جميع ترجمانات الدول الممثلة فى الإسكندرية وتم نشر فرمان الباب العالى وإعلان الحرب وطالبونى للمرة الثانية بإنزال العلم الخاص بى وحذرونى بأننى إن لم أقم بذلك طواعية فسيقومون هم بإرسال الجنود إلى منزلى لإنزاله بالقوة .. فى أثناء ذلك تواجدت

فى الميناء قطعتان بحريتان روسيتان قمت بإنزال قائد كل منهما مع بحراتهما إلى الأرض ومع الترجمان الخاص بى والقائم بإعمالى صعدنا إلى سطح منزلى وقمت بإنزال علم عاهلتنا المبجلة.. والححت فى طلب تمكينى من السفر مع السفينتين الروسيتين مصطحبا معى عائلتى وضباطى وجميع الرعايا الروس. رفض طلبى هذا وتم مصادرة السفينة بحمولتها وأمرت بالاستعداد للسفر إلى القسطنطينية على متن سفينة تركية واعترضت على هذا الفعل اللانسانى مبينا أن شروط استسلامى تكفل لى حرية السفر على باخرة أوروبية إلى الميناء الذى أراه مناسبا لى .. فأخطرونى بأننى اتبع Capitan Pacha حيث أننى كنت على علم بطبيعة الرجل الميالة إلى الثأر ، قمت بحرق جميع أوراق مراسلاتى وكل ما يمكن أن يبين تواطؤ مع البكويان وقد أخطرت هذين البكوين بتصرفات Capitan Pacha معى ونواياه فى أصطحابى معه إلى القسطنطينية.

وطالبت حمايتهما ولهذا الغرض فقد عقدا اجتماعا مع Capitan Pacha تقرر فيه خروجى من مصر خلال٢٤ ساعة. وأضافا بأننى حر فى سفرى على الباخرة المناسبة لى أما فى حالة العكس فإنهما على استعداد تام على فسخ الاتفاق المبرم بينهما وبينه.

وفى يوم ١٧ سبتمبر جاءنى ضابط من طرف Capitan Pacha بأمر بمغادرتى فى خلال ٢٤ ساعة كما قدم لى من طرف Capitan Pacha كتابا باللغة التركية امرنى بالتوقيع عليه. واعترضت على هذه المعاملة وطالبت بأن يقرأ مترجمى هذا الكتاب. فرفض طلبى وهددنى فى حالة عدم توقيعى على الكتاب بأنه سيأمر بحجزى على متن سفينة حربية تركية.. فقمت بالتوقيع على الورقة باللغة الروسية وأنا اعترض على أنه فى حالة احتوائها على أى شئ يشين بشرف الأمة الروسية أو حتى بشرفى أنا شخصيا أو أنها تحتوى على ما يفهم منه أننى مدين بأى شئ فى الإسكندرية، فأنا أنكر ذلك تماما حيث أننى لا أدين بأى شئ إلى أى أحد وأنهم قد قاموا بإجبارى على التوقيع .. قمت بصرف

المرتبات حتى الأول من سبتمبر إلى مترجمينى وإلى فواسينى المتعلقين بى شخصيا واستلمت إخلاء طرف من كل منهم ، وقد تركت فى منزلى بعد إغلاقه كل ما يصعب حمله من أثاث ومتعلقاتى وقمت عمل مذكرة دقيقة حيث حددت تماما بأن كل شئ على ما يرام وأودعت هذه المذكرة ومفتاح بيتى لدى حكومة القاهرة .

اصطحبت معى إلى السفينة ربابنة الباخرتين المحجوزتين فى الإسكندرية وتاجر من Diflis واخو وشقيق زوجة كاظم بك والكود فى Badimuth والذى كان قد جاء على احدى السفينتين للزيارة .

أهدانى إبراهيم بك مهرة عربية رائعة أرسلها عن طريق أحد الضباط داعيا إلى بسفر مريح وأوصانى باستخدام المهرة الإستخدام المناسب .. أما مراد بك فقد أرسل إلى سيفا رائعاً أرفقه بنفس الدعوات تقريباً كما أضاف أن لى مطلق الحرية للعودة إلى مصر حينما يخرج Capitan Pacha وأنه وإبراهيم بك سوف يجدان دائماً طريقة لتوصيل خطاباتهم إلى .

فى الثامن من سبتمبر وصلت إلى Mesiue وخرجت منها بعد مضى ٢٠ يوماً فى الحجر الصحى إلى Livourme حيث وصلت فى ٢٤ من نفس الشهر .

وهناك تقدمت إلى قنصلنا وأخطرته بأننى أود نظراً لتوقيعى عنوة على كمبيالة باستلام مبلغ لسداد انتقالى على الباخرة التى حملتنى إلى Mesiue وفى نفس الوقت لتكملة سفرى إلى Petersburg إلا أنه أخطرنى أن ذلك خارج صلاحياته ويجب على الاتصال بالوزير (السفير) .

فى نفس اليوم سافرت إلى Horeuce حيث قابلت سفيرنا (وزيرنا) وتقدمت إليه بنفس الطلب المقدم إلى القنصل وأظهرت له ضرورة وصولى إلى الوزارة فى Petersburg لأطلعهم هناك على أمور مهمة لما آلت إليه الحالة فى

مصر الآن

وأخطرنى أنه لديه أوامر بألا يسلمنى إلا ثلث مرتبى فقط .. ومن ناحية أخرى فقد أمرته الوزارة بأن يبقينى هنا لاستخدام فى مهام بحرية .. أجبته بأننى مندهش لأوامر الوزارة باستخدامى على سفينة إغارة علماً أنهم يعرفون تماماً أنى من ضباط سلاح الفرسان ولست من ضباط البحرية .

لذا أرجو بكل احترام وزارة الإمبراطورية بإرسال أوامرها بهذا المعنى وأرجو أن أعين فى مأمورية أكون فيها مفيداً لوطنى .

فى التاسع من نوفمبر وصلت إلى هنا سفينة قادمة من الإسكندرية كانت قد أبحرت عشرة أيام بعد مغادرتى لها وحاملة إلى رسالة من مراسلينى يخطرونى فيه بأن Capitan Pacha وصل إلى الإسكندرية ومع أول ريح مواتيه سيبحر إلى القسطنطينية .

أسطوله مكون من خمس سفن :

- La Capitan بها ٧٤ مدفعاً ـ سفينة قديمة
- La Reala بها ٦٤ مدفعاً ـ سفينة جيدة
- السلطان سليم بها ٥٠ مدفعاً ـ سفينة قديمة
- عدد ٢ سفينة سويقية بكل منها ٢٠ مدفعاً
- ١٠ Kirleugitz تحمل كل منها ٦ مدفعاً

بكل طاعة أنا من رعاياكم الأوفياء

Conrad Tonus

Livorne ٥ نوفمبر ١٧٨٧

إلى البارون Tonus فى Livourne

فى ٧ ديسمبر ١٧٨٧ عن طريق رسول أفادنا وزير الإمبراطورة فى Flor-ence بوصولكم إلى Livourne وحيث أن تقريركم ياسيدى قد تم قراءته بإرتياح يرغب السيد ل بأن تذهبوا أولاً إلى سانت بيترسبورج الكونت Mou-cenigo الذى سيطلعكم على هذه الرسالة مزود بجميع الأوامر الخاصة برحلتكم .

ياسيدى على يقين تماماً أن حماسكم للواجب سيحثكم على تنفيذه بالسرعة التى تلائمكم فى انتظار أن أراكم بيننا(تفضلوا بقبول كما تم وأقول لكم استحسان أفعالكم)

ملحق رقم [3] مذكرة عن مصر

تعد مصر من أغنى أقاليم الإمبراطورية العثمانية وهى من أكبر منتجى المواد الغذائية للجيش التركى . يصعب وصف الظروف الحالية وعداء البكوات والمماليك للأتراك .. أوشكت مصر أن تصبح مقاطعة مستقلة تماماً عن الامبراطورية العثمانية وأن بتوصلنا إلى تحقيق ذلك نكون فى أحدثنا وبدون شك أكبر الضرر لأعدائنا .. قد بينت لسموكم فى مذكرتى رقم ١٤ بتاريخ ٢٠ نوفمبر على وضع مصر اليوم والثورة التى ادخلها Capitan Pacha فى البلاد وقلة النجاح الذى لاقاه فى حملته تظهر تماماً أن الباب العالى ليس مؤهلاً للسيطرة على هذا البلد وأننى لا أتكلم جزافاً حينما أؤكد أنه فى مقدور وزارتنا أن تصبح مصر إقليماً مستقلاً . الظروف الآن مواتية أكثر مما كانت عليه إبان حكم على بك والنفوس أكثر استعداداً للثورة عنها فى ذلك الوقت عندما أعلن الباب العالى الحرب على وزارتنا أكد المماليك صراحة وكانوا يعتقدون كذلك بأن الروس سيستغلون الفرصة لحماية ومساعدة البكوات .

يوجد فى الإسكندرية ميناءان الأول وهو الميناء الجديد والآخر وهو الميناء القديم وترسو فى الأول جميع سفن الدول الأوروبية من ناحية أخرى هو ردئ

للغاية ومزود بأحد الأبراج الصغيرة به ستة عشر مدفعاً فى حالة سيئة لحمايته أما الثانى فهو ميناء جيد واسع بما يكفى لاحتواء ٢٥ سفينة حربية تكون فى مأمن من العواصف ولا يوجد فى هذا الميناء أى تحصينات يصعب إيجاد ٥٠ قطعة مدفعية فى مصر كلها .. عموماً إنزال الجنود من العمليات الصعبة بسبب انخفاض الشواطئ المصرية ويستلزم دخول الميناء القديم الاستعانة بمرشدين ماهرين وألا لزم إرسال زورق ليتقدم السفن مستعيناً بالمسير ، وتبقى صعوبة أخرى فى حالة ما إذا تم استقبال سفننا على أنها من سفن الأعداء فلن يحصلوا على الماء لأن الصهاريج تقع خلف المدينة ، وفى هذه الحالة يمكننا إرسال الزوارق إلى مدينة رشيد وهى على مسافة ست ساعات .

دمياط مرسى مريح نسبياً تهب عليه رياح جنوبية غربية مما يجبر السفن إلى رفع المرساة والاتجاه إلى عرض البحر والمضى إلى ميناء Lernica فى قبرص وهو مرسى ممتاز .

سانت بيتر سبورج فى السابع من ديسمبر ١٧٨٧ أفادنا وزير الإمبراطورة فى Florence بوصولكم إلى Livourne وحيث أن تقاريركم قد تم قراءتها بكل ارتياح فإن جلالة الإمبراطورة ترغب بأن تذهبوا على الفور إلى سانت بيترسبورج

قد تم تزويد السيد conte Moncenigo الذى يحمل إليكم هذه الرسالة بالأوامر الخاصة بسفركم .

إننى ياسيدى مقتنع تماماً بأن حماسكم فى تأدية واجبكم سيحثكم على تنفيذه بالسرعة التى تناسبكم .. فى انتظار أن أراكم معنا فإننى لى الشرف بأن أكون سيد خادمكم

سى. اف . دوترمان

ملحق رقم [4] تعليمات سرية

مشروع للقنصل العام الروسى بالإسكندرية " بارون تونوس"

بصدد إرساله إلى مصر بالتكليف الخاص فى ١٧ فبراير ١٧٨٨ واضعاً فى اعتبارنا كل معلوماتكم حول أوضاع ومواقف بكواتها وصول الوسائل التى يمكن إستعمالها لصالحنا فى الحرب الجارية ، ومن المستقبل على السواء .. وتقييماً مميزاً لمجهوداتكم التى تبذلونها أيضاً أثناء رحلتكم إلى الأرض المذكورة آنفاً نقدم لكم النصائح التالية :

(١) ما هو الطريق الذى تسلكوه لرحلتكم عبر تريا ست أم عبر راجوزا ، ومن هناك على متن المركب المؤجر فنترك لكم حرية اختيار هذا الطريق فكونوا على حذر فقط فى كلا الحالتين يجب عليكم الاحتفاظ بسر مأموريتكم للدرجة التى لا يستطيع أحد معرفة أمر مغادرتكم من هنا وما تعملونه وإنكم ذاهبون إلى أسرتكم وأنكم سوف تنتظرون هناك .. إما وصول الأسطول ، وإما الفرصة الأخرى التى تتناسب ووضعكم .

(٢) سوف نوجز لسفيرنا فى فلورنسا / النبيل موسينيجو مرسومنا عن التقديم فى متناول أيديكم المركب الذى سيتم تجهيزه بالمدافع والذى تستعملونه أنتم لصالحنا فى مأموريتكم حذراً ألا يقوم هذا المركب بشئ يضر بمصالحنا نحن أو بنظام العلاقات الدولية القائمة الآن والشعوب التى لا تشارك فى الحرب الحالية .

(٣) وعند مغادرتكم يتحتم عليكم أن تأخذوا من أميرالاى جريح أمراً لقادة مراكبنا الحربية الموجودة فى البحر الأبيض المتوسط ينص على :

أن لحد إمرتنا المقبلة سوف يميزون العلم التجارى المصرى عن العلم التركى

وأنهم يمسون السفن التجارية المصرية العابرة تحت العلم المصرى ويتعاملون معها كما يتعاملون مع السفن التابعة للدول المحايدة ويمكن أن تأخذوا نسخة من هذا الأمر معكم لتعرضوها على قادة المراكب الروسية التى تقبلوها أثناء مأموريتكم .. أما النسخة الثانية منه فانقلوها إلى النبيل موسينيجو لكى يتولى إيصالها بطريقة سرية لباقى المراكب الحربية الروسية القائمة هناك .

(٤) لكى تجدوا من جانب البكوات المصريين ثقة تامة الذين تحوزون على ثقتهم أولاً بفرماننا وثانياً بتقديم لكم كل شئ من الاختصاصات تستعملونه بشكل طبيعى وكامل عندما ستعرفون ما يحتاجون إليه فى إطار مصالحنا شريطة أن تسبق كل اتفاقية تجربة مسبقة من قبل أميرال جريح ويليها تصديقنا .

(٥) بالإضافة إلى التأكيدات المتضمنة فى فرماننا أضيفوا شفاهة أننا نكرم مجهوداتكم للبلاد التى يحلمون فيها لتخليصهم من النير التركى وسوف يطيب لنا أن نراهم المتخلصين من تحت سيطرة الغير والمتمتعين بالحرية والأمن والآن أنسب وقت لتحقيق ذلك .. فإذا ضاع فمن المستحيل أن نجد وقتاً مماثلاً فى المستقبل .. إن عدونا مشغول حالياً بالحرب ضدنا وضد حليفنا الإمبراطور دولة ريم .. بالإضافة إلى الجيوش البرية الكثيرة تجذب كل قواه من جبال قوقاز إلى البحر الإدرياتيكى .. يوجد لدينا الأسطول فى البحر الأسود الذى يهدده كما هذا الربيع نرسل إلى البحر الأبيض المتوسط اسطولنا أيضاً المعزز بالقوات البرية الكبيرة وكل ذلك يشغل بال عدونا للدرجة التى لا تمكنه من تخصيص أى شئ لاستبداد مصر الجديدة ونهبها مرة أخرى .

(٦) على فكرة بمجرد حصول قائد الاسطول على الخبر أن باشا مصر اعتزم إعلان استقلاله عن الباب العالى وصديقاً لروسيا سيقدم على عمل الشروط الأولية حول المساعدة الممكنة التى ستزداد بقدر مباركة ربنا على سباحنا

(٧) عندما يعتزم البكوات تنفيذ الأمر ستبرمون معهم الاتفاقية بشكل عام شفاهة وتعكس اعترافهم بأنفسهم مستقلين كما قيل آنفاً وأصدقائهم من روسيا وعن عدم تقديم مساعدتهم لعدونا وعن توريدهم المؤن الغذائى لاسطولنا والقهوة وتغطية احتياجاته الأخرى بلا شك على أساس الأسعار والعقول الطوعية وعن امتيازات اتباعنا حاولوا أن تكون مثل البنود التى تشتمل عليها اتفاقيتنا مع فرنسا التى سترفق بهذه التعليمات إذ مع اعترافنا باستقلالهم وإنهاء الحرب ستتجلى كل هذه الأمور .. كما ستحدد السبل التى سيلجأون إليها لإلحاق الأضرار البالغة بعدونا المشترك للحيلولة دون عدم استخدام أى وسائط للاستبداد والاستعباد .

(٨) ومع ذلك يمكنكم أن تبلغوهم بأننا على علم تام بنقص مدفعيتهم فقد بعثنا لهم مع اسطولنا ببضعة مدافع من النحاس والذخائر الإضافية هدية لهم والتى من شانها معاونتهم فى استخدامها لصالحهم دفاعاً عن النفس وسيتولى توريدها لهم أميرال جريح بمجرد اتصالكم بهم وتسألونهم هل توجد ضرورة لتعليم سبل استخدامها وإذا وجدت يمكن ارسال بعض المدربين المهرة للذين سيبدلون ملابسهم وفقاً للظروف المحلية .

(٩) من الضرورى أن تبذلوا قصارى جهدكم لأنهم بمجرد وصول اسطولنا فى البحر الأبيض المتوسط يجب أن يؤكدوا كلامهم حول الاستقلال بتوجيههم أسلحتهم ضد سورية حيث سيسعون إلى ارسال الإشارة والطلب لمراكبنا الحربية بهدف نجدتهم ودعمهم فى تطهير السواحل مما سنبلغ أميرال جريح بالتفصيل .. وأنتم أيضاً يتحتم عليكم أن تحاولوا مزاولة المراسلة معه والسبل الأخرى طبقاً لاعتباركم وبعد أن تتأكدوا من حسن نوايا البكوات واستعدادهم للمقترحات آنفة الذكر أبلغهم بأننا أمرنا الآن بعدم المساس بمراكبنا الحربية بالعلم التجارى المصرى على اعتبار أنهم ليسوا من اتباع عدونا بل سيبقون شعباً طيب الأعراق

وحسن النية حتى لا نرى من قبل البكوات أية أفعال معادية وخضوعهم للاتراك .

(١٠) أما عودتكم فنجعلكم الوقوف عليها بأنفسكم هل ستعودوا إلى أميرال جريح أم إلى إيطاليا مباشرة بينما ابعثوا أكثر ما يمكن من كميات من جريش الدخان المحلى والمواد الغذائية إلى اسطولنا قبل وصوله إلى سيتشيليا إلى العميد بسارو الذى أوكل إليه مهمة إمداد الأسطول نرجو من الله أن ينقذكم من كل شر نؤكد لكم أن مثل هذه الخدمة التى تتولون أدائها لن تبقى دون مجازاة الإمراطورة الخاصة عليها .

(١١) أثناء هذه المأمورية وحتى استقراركم فى مكان ما سوف تستقلون نفس المركب للقنصل العام .. علاوة على ذلك إذا احتجتم إلى ارسال أناساً فى بعثتكم فى المأمورية سوف تتوافر عندكم هذه النقود حسب احتياجاتكم لا نطلب منكم إلا حذراً بالغاً فى المراسلة وفى الإقامة أو فى أى شئ آخر إذ كنا فى النضال الصريح نستعمل فيه كل الوسائل إضراراً له لكن سوف نأسف أسفاً شديداً إذا تسببتم فى مصيبة ما لأنفسكم .

نانكت ـ بطرسبورج ١٧٨٨/٧/١٨

دون توقيع

ملحق رقم [5] مذكرة

تألمت كثيرا العام الماضى عندما تحققت من أن عملية البانيا التى عهدت إلى لتنفيذها قد باءت بالفشل بسبب تدخل الضباط النمساويين ، فانسحبت إلى ايطاليا لأطلع صاحب السعادة Moudminoffde وزير صاحبة الجلالة الامبراطورة فى البندقية على المهمة الفاشلة التى كان قد كلفنى بها فضلا عن الاحباط الذى أصانى نتيجة عدم جدوى مجهودى وتعبى وفى نفس الوقت الذى كنت أتوقع فيه أحسن النتائج تمكن منى ولسؤ حظى مرض مزمن وخطير كنت

قد أصبت به أخيرا خلال سفرياتى المنكوبة واقامتى فى Dalmatie عندما وصلنى عن طريق المدعو Youssef Fakir العميل السرى المقيم فى الاسكندرية الكتاب المرفق رقم ١ لبكوات مصر المعروفين إبراهيم ومراد وصديقى القديم وإطلاعى على خطة بهذه الروعة كنت اعرف مسبقا وسع مداها وكل قوتها – وعندئذ اشعل حماسى لخدمة الامبراطورة شجاعتى من جديد فبدأت استعيد قوة كانت كثرة الآلام قد اهلكتها فاصبحت مستعدا تماما للتضحية بأى شئ بحياتى فى سبيل واجبى وبالرغم من حالة صحتيالمنهكة لم اتردد ولو للحظة فى أخذ البريد معى عند سفرى إلى سان بيتر سبورنج لأدع أمام أعين الديوان الامبراطورى تفاصيل ومكاسب اقتراح أنا من مؤيديه وأعلق عليه أكبر الآمال. جلبت ثورة ابراهيم ومراد بك أشد القلق على الباب العالى شجاعتهما فى الكفاح لمدة سنتين ضد كل سلطة ونفوذ الامبراطورية العثمانية لم تجنبهاما الهزيمة وهذا ليس فقط بسبب الفارق فى ميزان القوة بل أيضا بسبب مؤامرات ودسائس Capitan Pacha الخفية ، فقد تمكن من بذر بذور الشقاق بين رؤساء الاتحاد واغتنم على أثر ذلك فرصة ضعفهما فانهال عليهما حتى اجبرهما على التخلى عن كل شئ تاركين ممتلكاتهما ومناصبهما لأعدائهما عازمين الأمر على الانسحاب إلى مصر العليا ليضعا أنفسيهما تحت حماية الشيخ الإمام الذى هو بمثابة الكاهن الأكبر عند العرب وهما فى ملجأهما هذا لم يفقدا الأمل فى استعادة امجادهما القديمة فى يوم من الأيام وهما يعيشان مر الحياة وضنكها لاحساسهما بالظلم ولا يحييان تقريبا إلا على الرغبة فى الانتقام وهذا الاحساس يزداد مع مرور الأيام ويتأجج بسبب قلة حيلتهما والتى تجبرهما على تأجيله لقد اعتادا منذ زمن بعيد على اعتبار الديوان الامبراطورى الروسى من بين اصدقائهما ذلك لأنه عدو طاغيتهما فلا يكفان بارسال امانيهما له وطلب نجدته بناءا على هذه المعطيات التى تم التحقق من صدقها فى الديوان الامبراطورى فإن الخطورة التى أقدما عليها الآن ما هى إلا نتيجة طبيعية لما

يشعران به نحونا وهو ما كنا نقدره دائما فيهما لقد علمتهما تجربة العام الماضى الفاشلة أن نظام اللجنة فى مصر غير مجدٍ بل هو على العكس من ذلك يمثل خطورة كبيرة إذا تواجدت هذه اللجنة فى قبضة يد رجل لا يمتلك خبرة كاملة وعميقة بمصر وبما يجرى فيها ولا يتكلم لغاتها ويجهل المسببات السرية للأمور عند تعامله معها ويعتمد فى إدارة أعماله حتى على الأكثر حساسية منها على غيره فيجد نفسه حينئذ تحت رحمة أشخاص ليست أمانتهم بعيدة عن الشبهات فى محاولة أخيرة أرادا توضيح أفكارهما وأرادا الالحاح فى طلب المساعدة التى تمكنهما من الظهور من جديد وفى يدهما سلاح الانتقام للإهانة التى يعيشاها الآن والشيخ الإمام أو الحبر الأعظم عند العرب يتسلط على عقول الشعب بهذه السلطة الانتهازية والمطلقة التى يسيطر بها فى كل العصور الكهنة المكرة والمتعصبون على الأمم المستسلمة للجهل والخرافة ويبسط سيطرته أساسا على قطاع الطرق المتجولين فى الصحراء العربية ، طاعة لا حدود لها وثقة عمياء تقابل دائما النبؤات والأوامر العلا الصادرة على لسان حال الله هذا ويعرف عن الرجل الذى يقوم بهذا الدور فى الوقت الحاضر بصدق نيته تجاه البكوات بالاضافة إلى أنه ليست له أى مطامع شخصية عصابات قطاع الطرق العديدة مقسمة إلى قبائل يراس كل منها زعيم يعرف بالشيخ ، أضعف هذه القبائل يمكنها أن توفر عدد من الخيالة يربو على المائتين أما حشد وتجمع قوتهم يتكون فيه جيشا يرتفع قوامه بسهولة إلى عشرين ألف محارب ويعيشون على أرض جدباء فى مناخ يجبرهم على الخمول والكسل ، قطاع طرق لا يرتزقون إلا على السرقة والنهب ويكثر الباب العالى من الهدايا ودفع الإتاوات المغرية حتى يسمح هؤلاء اللصوص بالمرور الحر للقافلة المتجهة إلى مكة والقوافل الأخرى المتعهدة بالتجارة بين الهند ومصر لا مبادئ ولا قانون ولا رادع لجموحهم فإنهم لا يوفون بتعهداتهم إلا بهذا القدر الذى يتفق ومصالحهم وهو دائما على استعداد وبعدم ذمة على بيع ضمائرهم لمن هو قادر على الدفع أكثر من غيره وإذا ما تم كسب

رضاء الحبر الأعظم وتم شراء رؤساء القبائل بالقدر المناسب فلن يقف أى شئ عائقا أمام نجاح العملية سيقوم الحبر الأعظم بلعن المغتصبين لمصر وسيعلن باسم الله أن المالكين الشرعيين للمملكة هما إبراهيم ومراد بك ويطلب من اتباعه جميعا الانتقام للضرر الذى أصاب البكوين كما يطالبهم بالإضافة إلى ذلك بمساندتهم بالجهاد المسلح ولما له من مصداقسة طرفهم وسيعزز رؤساء القبائل أوامر الحبر الأعظم ويساندون حماس شعب عدو للسكينة بالفطرة وعاجلا ما سيمتلك البكوان الفاران جيشا سينضم إليه الساخطون فى مصر جميعهم مع أنصارهم القدامى ، وفى لحظة يكون أتون الحرب قد اشتعل أكثر عنفا من أى وقت سيقومون بالسطو على القوافل وكأول نتيجة لهذا العصيان وبالذات قافلة الحجاج السنوية والمتجهة إلى مكة وتكون دائما أغنى هذه القوافل وسريعا ما تتوقف التجارة وتحرم العاصمة والامبراطورية معها من المنتجات المصرية القيمة على الأخص الأرز والقهوة وهما من المواد الأساسية عند الأتراك فى الوقت نفسه سيعرف الجميع أن الأمن اللازم للقيام بالحج وهو أ :ثر الواجبات قداسة عند أى مسلم لم يعد موجودا ولكم أن تتخيلوا الأثر الفظيع لهذه الثورة على شعور الأمة وعلى أجهزة الباب العالى سيعيش الناس فى رعب حين يجدوا أنفسهم محرومين من أشياء فيها ملذاتهم ومن ناحية أخرى سيتملكون الحزن عندما يروا أكثر معتقداتهم الدينية احتراما قد انتهكت فلن يترددوا عن النداء بالجهاد (بالثورة) هكذا يبدأ حكم السلطان الجديد نذير نحس وشؤم وسرعان ما يصبح موضع بغض للناس حكمه لم يدم طويلا وأعماله ما زالت قليلة حتى يكون قد فرض نفسه على شعب بدائى وعنيف ، شعب قد أظهر فى أكثر من حالة تمرده وعصيانه ، شعب قد أشعل فيه الحماس وحكمه لم يستمر طويلا وأ'ماله مازالت قليلة حتى يكون قد فر ض نفسه على شعب بدائى وعنيف كثيرا ما أظهر التمرد والعصيان شعب يكون هو السبب الأول فى هو اشعال حماسه وثورته من جديد حينئذ لم يتردد الناس فى أن يعزوا له جميع

النكبات التى أصابت الامبراطورية فتنقلت خطط سياسة الباب العالى رأسا على عقب فيصبح فى وضع إما أن يقبل بسلم مشروط يفرض عليه فرضا أو أن يشتت قواته بحملة على مصر النجاح فيها غير مضمون ويصبح فى وضع أما أن يقبل فيه بسلام مشروط يفرض عليه وإما أن يشتت قواته تشتتا وذلك بحملة عسكرية على مصر غير مضمون النجاح فيها تضعفه وتهدده بالنكسات الأكثر شؤما والتى لا يمكن التنبؤ بعواقبها والخريف أنسب فصل السنة لدفع العرب للتحرك لأن فى هذا الوقت بالذات كثرة ..... يسهل عمليات سلاح الفرنسان وفى نفس الوقت يتزامن مع موسم يتم فيه جمع البلح الذى يمد العرب بغذائهم لمدة خمسة أشهر.

إذا قرر البلاط الإمبراطورى أن يتبنى مشروعا يبدو لى شهلا وله امتيازات كثيرة فإنى اسمح لنفسى أن أؤمن وأؤكد أنه ما عدا فى حالات عارضة لا يمكن للحكمة الانسانية أن تضعها فى الحسبان ولا شئ من ناحية أخرى سيحول دون نجاحه الامكانيات المطلوب توافرها لن تكون إلا باهظة التكاليف لكن البكوين وهم تحت حمايتنا عندما يصبحان مالكين مستقرين لأغنى دولة فى العالم من الأكيد أنهما لن يرفضا سداد أموالا كنا قد مولناهم بها وفضلا على ذلك ستصبح فى وضع يعطى لنا فرصة ابرام اتفاقية تجارية لا تحصى مكاسبها ولا تعد وأنى احتفظ بحقى فى أن اقترح فى الوقت المناسب خطة لدراستها فى البلاط الامبراطورى.

عندما تقدمت لإنجاز هذه المهمة بناءا على طلب البكوين دفعنى إلى ذلك ليس فقط موهبتى المتواضعة ولكن أيضا غيرتى على خدمة صاحبة الجلالة التى تشجعنى على أن أتحمل ما هو فوق طاقتى من أعمال قضيت من حياتى عشرين عاما أقيم فى تركيا ومنها ستة فى مصر قضيتها فى إدارة الأعمال كما أننى أتكلم اللغات بطلاقة ولدى معرفة دقيقة لظروف البلد وعادات شعبه بالإضافة إلى ذلك أمتلك عزيمة صادقة إن كل هذا ليس بكافيا لإنجاح المأمورية فإن روح

روسيا الموفقة وبمساعدة روح الله التى توحى فى هذا العالم بصورة الحكمة المتكاملة فكل هذا سيعضدنى ويساند مجهودى.

تكملة للمذكرة المقدمة

المذكرة التى كان لى الشرف بالتقدم بها ما هى فى مجملها إلا ملخص لأفكار راودتنى حينما أحسست أن خدماتى المتواضعة يمكن أن تأتى ولو بقسط بسيط من الفائدة وأيقنت أنه من واجبى الرجوع إلى تلك الأفكار والتوسع فى عرضها.

بافتراض أن المطلوب هو الاستفادة من الاستعداد الحالى للبكوات لمؤازرة نجاح المجهود العسكرى الروسى وأن الوزارة تعتبر خطتى بوضع العراقيل أمام السبر المستمر للمؤن من مصر إلى تركيا التى تعتمد عليها - إذا صح هذا القول - حياة القسطنطينية جديرة بالاهتمام فلابد :

١- أن أكون مزودا بالتعليمات المفصلة والخاصة بتعاملاتى مع هؤلاء البكوات كما كان لى الشرف فى ذكر هذا من قبل فإن ابراهيم بك وهو أعظمهم جميعا ، ومراد بك وهو المتحدث الرسمى باسمهم وهو أيضا أمير القافلة ، وكذلك قاسم بك كلهم من أصدقائى وقد أديت لهم جميعا خدمات جليلة فقمت بتوجيه الارشادات لهم خلال عملياتهم الحربية ضد Capitan Pacha حتى وسلوا معه إلى سلام لصالحهم وقد أبعده هذا عن الأراضى المصرية. ومن المناسب أن انقل إليهم باسم جلالة الامبراطورة التأكيدات الرسمية لجلالتها بتأييدها يعانون وهم تحت وطأته كما أنه أيضا من المناسب أن يسمح لى ليس فقط بتزويدهم بالنصائح وإنما أيضا بالوقف إلى جانبهم فى حالة ما إذا طلبوا ذلك صراحة. ولأننى وأنا فى طريقى إليهم لا يمكننى حمل أى مكتوب حرصا منى من أن يكون قد غدر بى أو أن يتم ايقافى خلال سفرى بحرا فإنى أطلب هذه التعليمات فقط للاسترشاد بها وسأبقيها فى ديوان الخارجية حتى تكون الأساس فى الحكم على

المساعى التى أكون قد قمت بها تبعا لذلك

٢- للوصل إلى مصر بالسرعة التى تتطلبها خدمة مولاتى لا أعرف إلا طريقتين :

■ أن أرسل من هنا متخفيا فى لباس تاجر يهودى مباشرة عن طريق Vienna إلى Trieste ومن هناك أصل على ظهر سفينة إلى Raguse ومنها أقوم بايجار سفينة Raguse بالشهر تنقلنى مباشرة إلى دمياط المدينة المصرية التى لا يعرفنى أحد فيها وحيث لا يوجد فيها لا قنصل ولا تاجر أوروبى. ومن هناك يكون طريق النيل مفتوحا أمامى وبسعر زهيد .. ستبقى هذه السفينة الـ Raguse رأسية فى دمياط فى انتظار أى رسالة منى أو علامة متفق عليها تبين سلامة وصولى إلى غايتى.. من أسباب تفضيلى لطريق Raguse دون غيره أننى وأنا فى سفرى عن طريق ايطاليا لا يمكننى الابحار على أية سفينة إلا ويتكشف أمرى وأتعرض للخيانة ومن ناحية أخرى فإن صعوبة إيجاد سفن رأسية والمغالاة فى أسعار النولون ستضع عراقيل اضافية أمام وصولى السريع إلى مصر.

■ أما بخصوص الطريق الآخر فيتم من هنا إرسال أمرا إلى السيد Monocenigo بوضع سفينة الإغارة التى قام بتسليحها لحساب صاحبة السمو تحت تصرفى.

٣- من فوائد العلاقات الأكثر حماوة مع البكوات:

أولا : أن أتمكن بسهولة من حثهم على منع تصدير الأرز والبن لتموين القسطنطينية.

ثانيا: أن أدفعهم إلى القيام بحملة على سوريا ضد باشا الأقاليم ومنعه من تقديم أى مساعدة إلى السلطان الأعظم مما ينتج عنه حرمان الباب العالى من عدد كبير من الفرق العسكرية.

ثالثا : أن يكون تزويد الاسطول الروسى الراسى فى ميناء الاسكندرية

بالأرز والمواشى أمرا سهلا وفى نفس الوقت يكون هذا الاسطول قريبا جدا من Candie فيمكنه مصادرة كل كميات الزيت التى تصدرها تلك الجزيرة على كل حال يجب علينا أن نقوم بقدر الامكان بإيذاء هذه الجزر المأهولة بأكثر المسلمين غطرسة فى الاسلام وهؤلاء السكان من ألد أعداء روسيا بعد هذا العرض ألتمس عطفكم بإضافة كلمة عن موضوع يخصنى شخصيا من سعادتى أننى كنت ولمدة ثلاث سنوات القنصل العام لصاحبة السمو الامبراطورة فى الاسكندرية أود قبل اتخاذ أى قرار بشأنى أن أضع جميع أوراق قنصليتى بين يدى من يأمرنى ديوان الخارجية بتسليم أياها وأن أقدم حسابا تفصيليا عن الأموال التى تسلمتها لحساب معاونينى وأتسلم تبعا لذلك إخلاء طرف عام يحمينى من أى ملاحقة فى المستقبل.

وعند تعيينى فى القنصلية تجرأت وتوسلت عند مولاتنا بأن لا استبعد من الخدمة العسكرية حيث حصلت منذ ثمانى سنوات على رتبة Major لكنى وبكل ألم اكتشفت عدم وجود اسمى بين أسماء القائمة ووجدت أيضا أن خمسة عشر من يصغرنى سنا قد تخطونى فى الترقية ومع هذا الطلب المتواضع أتجرأ وأرفق طلبا انسانيا يغفر له بكل المقاييس.

أنا متزوج وأعول ثلاثة أطفال فى مقتبل العمر وأننى على وشك ألا أرى بلادى وعائلتى ثانية فما مصير هذه العائلة حينما لن أكون متواجدا لمساعدتها.

ولا يبقى لى إلا أن أتوسل إلى احسان جلالة الامبراطورة لتلقى نظرة عطف على مصير ذويى فتمنح زوجتى قطعة من الأرض لتلجأ إليها وتقوم بتربية أولادها التربية الصالحة وأكون أنا أسعد الأحياء كلهم وأواجه الموت بشجاعة لأنه لن يصيبنى إلا أنا وحدى.

سان بيتر سبورج ٤ فبراير ١٧٨٨

لورد بارون Manus

ماجور وقنصل عام

تكلمة للمذكرة المقدمة يوم ٤ فبراير

اننى اطلب ارسال امرا من هنا الى السيد الكونت de Monnigo بوضع سفينة الاغارة والتى قد قام بتسليمها لحساب الديوان الامبراطورى تحت تصرفى الشخصى وأغتنم هذه الفرصة وأرجو أيضا بالإضافة إلى ذلك أن يتسلم قبطان هذه السفينة أمرا يحول دون خروجها لملاحقة السفن المصرية الصغيرة فيصيب مصالحنا بمقتل فيهدم كلية ثقة البلاد نزاهة وزارتنا . أما أنا فقد ارتبطت مع البكوات بكلمة شرف بعدم مهاجمة سفينتنا لسفنهم وذلك حتى يتم إيضاح ما إذا كنا مصممين على التعامل معهم ام لا . وحيث أن سفينة الإغارة هذه قد أبحرت قبل مغادرتى لمدينة Livouove فلم أتمكن من ايجادها . لذلك ساتمسك برأى الأول واذهب إلى اللحاق بها لاستلامها Raguse وأرجو الوزارة بمنحى خطابات موجهة إلى تلك الجمهورية التى كنت قد قدمت لها أيضا خلال اضطرابات الحرب فى مصر كثيرا من الخدمات بحماية قنصلها وسفنها بنفس السفينة التى سأقوم بالسفر عليها ، اخطرنى سعادة امير البحر Greigle بأنه يمكننى إرسال حمولة أرز للأسطول ويتيح لى هذا مكسبين فهى فرصة لى لتجنب سداد مصاريف نقلى على السفينة كما أن هذه السفينة فى عودتها ستحمل المؤن للأسطول وعلى نفس هذه السفينة عند مرورى بجزيرتى Laute & Latalouie سأتمكن من إصدار الأوامر إلى سفن الإغارة بعدم ملاحقة السفن المصرية الصغيرة إذا صادفت خلال رحلتى سفينة الإغارة التى قام سفيرنا فى Floreus بتسليمها لحساب الوزارة ساصطحبها معى واحملها بالمؤن وأرسلها إلى احد الموانئ الإيطالية التى يكون قد تم تحديده لى .

سان بيتر سبورج ٧ فبراير ١٧٨٨

Counrad Barn Tonus

Mayor قنصل عام فى مصر و

ملحق رقم [6] ترجمة لرسالة المذكور Youssef Fakir الى الترجمان Olivier فى الإسكندرية بتاريخ ٢٢ مارس ١٧٨٩

بالإشارة الى معلومات وصلتنى من مصادر مختلفة ، اعتقد أنه بإمكانكم التواجد فى Trieste فى حالة تعرض حياتى لأى خطر أرجو أن يصلكم كتابى هذا بسلامة . لايمكننى أن امنع نفسى من الكتابة لكم مع إننى اعرض نفسى لخطر جسيم اذا ماتم اعتراض رسالتى ، لذلك حاولت تزييف الخط فيها حتى لايكتشف الأمر لأنها تتعلق بشؤون على أقصى درجة من الأهمية . فى كتمان تام جاءنى منذ أيام رجل ثقة إبراهيم ومراد بك اللاجئين حاليا فى مصر العليا عند الشيخ الأمام كان مزودا بأمر إبلاغى بأفكارهما شفويا . لقد تجنبا الكتابة خوفا من ان يكتشف أمرهما . مع أن هذا الرسول لم يكن يتذكر اسمكم إلا انه تمكن تماما من أن يفهمنى بان ابراهيم بك يود ان يكون بجواره نفس الترجمان الذى هيأ له إبان اقامته فى الإسكندرية سنة ١٧٧٦ فرصة شراء اربعة قطع مدفعية وبعض الأسلحة الأخرى من قبطان إنجليزى بعد أن قمتم بالترجمه له . تعرف عليكم بهذه المناسبة ومن بعدها صاحبته طوال فترة إقامته بالإسكندرية . ووفقا لتأكيدات الرسول فإنه على ثقة كبيرة بكم لأنه يعرف تماما قدراتكم وتمكنكم من اللغتين التركية والعربية الأساسيتين فى مصر . لذلك فان البكوين كلفانى بأن أخطركم بأنهما يودان الحصول على بعض المساعدات من أحد دوانين الإمبراطورتين اللتين هما فى حرب الآن مع الباب العالى أو من كليهما معا حتى يتمكنا بهذه المساعدة من دخول القاهرة والاحتكام من جديد على المملكة جميعها ويؤكدان أنهما نظير معونات

ضئيلة سيقومان بتحريض جميع قطاع الطرق العرب فى الصحراء على تهديد استقرار مصر كلها ومنع خروج الكميات الهائلة للمنتجات والمؤن المصدرة يوميا إلى القسطنطينية وأنهم أيضا سيقفان عائقا أمام مرور القافلة المتجهة إلى مكة أما فى الوقت الحالى وما هى إلا قلة الحيلة فقط التى أجبرتهما على التعامل مع إدارة القاهرة . أما إذا قبلت احدى الدول بتزويدهم بالمساعدات فلن يترددا فى اخذ السلاح وفى حالة ما إذا كللت علمياتهما بالنجاح واستقرا فى القاهرة من جديد فإنهما يعدان القوة التى قامت بمساعدتهما بأكبر المكاسب لأن اعترافهما بالجميل سيكون بلا حدود . ولدى رسول البكوين أوامر بالبقاء هنا حتى استلام ردكم . لذا أرجوكم بإيفادى بهذا الرد بأسرع وقت ممكن حتى أتمكن من صرفه فهو يقيم هنا على نفقتى لأننى مجبر بالاعتناء به إكراما لأسيادى . ولاحاجة لى بالتعليق على المكاسب التى يمكن أن تنجم عن مثل هذه العملية. وحيث ان لكم خبرة كاملة بمصر يمكنكم أن تروا كل المكاسب الناجمة عن هذه العملية وتعرضوها على صاحبة الجلالة وتعملوا أقصى ما فى وسعكم لإنجاز هذه المأمورية بأسرع وقت ممكن.

رقم ٢

الرد من Trieste بتاريخ ١٨ يونيو١٧٨٩

وصلنى اليوم كتابكم بتاريخ ١٦ مارس واستوعبت كل محتواه .لايمكننى فى الوقت الحاضر إلا إخطار البلاط الإمبراطورى بما تعرضوه على . أنا مسافر خصيصا الى روسيا لأقوم بعرض الأمر عليهم بنفسى وبأحسن الطرق . فى أثناء ذلك يمكنكم صرف الشخص طرفكم وإعطاء أصدقائكم الأمل وتشجيعهم على الصمود حتى يصلنى الرد على مقترحاتهما آملا أن يكون ملائما لهما . أعلم تماما مدى أهمية الموضوع وكم من المكاسب يمكن أن تجنيها من وراءه . ولن أنسى أن أبرز كل هذا أمام الديوان الإمبراطورى وفى

حينه سأخطركم بالنتيجة .

Olivier

رقم ٣

قائمة بالبكوات الموجودين فى مصر فى الوقت الحالى .

- ابراهيم بك شيخ البلد أو الحاكم العام لمصر كلها من مواليد Deflis
- مراد بك شريف أو قائد قافلة مكة من مواليد Deflis
- قاسم بك من الأقاليم البحرية فى مصر من مواليد Batimouti فى روسيا الصغرى وكان اسمه من قبل Simon Kirilovitch Boutihenlioff
- سليمان بك حاكم الدلتا أمير جيورجى من مواليد Deflis
- عبد الرحمن بك أخو سليمان بك .
- عثمان بك حاكم إسنا مدينة محصنة تفصل بين مصر العليا ومصر السفلى من مواليد Georgia

ملحق رقم [7] سموكم

شجعنى كرمكم معى ورعايتكم لى على عرض أفكارى أمام سموكم .

ستضطلعون فخامتكم من خلال تقريرى الموجه اليالديوان الإمبراطورى والمرفق طيه على تعاملاتى فى مصر وقد خرجت منها بكل الشرف الذى يستحقه شخصى .

لاأخشى أننى أكون قد تماديت فى القول حينما أكدت أن عدوى Cap-titan Pacha والذى يكون قد ترك الإسكندرية الآن بعدما أصبته بأقصى أذى ممكن فشل وهو مزود بعدد ١٨ سفينة حربية ، ٣٠ سفينة ٢٠٠٠، driotes من الخيل فى جميع عملياته حتى اضطر اضطرارا إلى إبرام اتفاقيات السلام خزيه للباب العالى . فى الحقيقة لم أكن احتكم إلى تعليمات للتصرف على

هذا النحو لكننى أيقنت أنه من مصلحة وطننا أن أقوم بإيذاء الأتراك إلى أقصى حد وبدون إقحام الديوان الإمبراطورى الأعظم .

تصبح مصر إقليما مستقلا العدد الأكبر من البكوات والمماليك من الرعايا الروس كما ان إبراهيم من مواليد Deflis

ميناء الإسكندرية أفضل موانئ البحر الأبيض المتوسط على الإطلاق حيث سيرحبون بسفننا أحسن الترحاب ، ويستحيل وصف العداء الموجه الآن ضد الأتراك . وفيما يخصنى شخصيا فأنا على أتم الاستعداد للذهاب إلى الإسكندرية عندما تقررون جلالتكم أن الوقت اصبح مناسبا لذلك أو الاشتراك فى أى حملة عسكرية تقررون أننى أهل لها . تحثنى رغبتى فى التقدم والوصول الى درجات التميز على القيام بأى عمل من شانه إفادة بلدى وانا بكل طاعة فى انتظار أوامركم .

وإذ تفضلوا سموكم بقبول

Livorne يوم ٥ نوفمبر ١٧٨٩

الخادم الخاشع والمطيع

Conrad Tonus

سموكم٢

فى الثامن الشهر الجارى وصلت من الإسكندرية سفينة حاملة لى رسائل تخطرنى بأنه بعد مغادرة Capitan Pacha وصل إلى الإسكندرية كل منها إبراهيم ومراد بك حيث أمروا القاضى بالاعتناء بقنصليتى وبكل ما كنت تركته فى منزلى .

لأوربيون متخوفون جدا من وجود رئيس مصر بينهم لأنهم كانوا قد قاموا بتوجيه الاتهامات لهما وهم الآن متخوفون من ايطردوا من الإسكندرية .

أمرنى وزيرنا كونت Moncenigo بأن اعرض عليه مراسلتى مع وزيرنا فى القسطنطينية وبعد الإطلاع عليها فإنه قام بسداد مبلغ وقدره ٢٩٣٤ ايكو إمبراطورى إلى القبطان النابوليتانى كمصاريف نقلى ومصاريف الكرانتبية . كما أننى وقعت له على كمبيالة (إيصال) للمجمع الإمبراطورى بمبلغ وقدره ٣٢١١ روبل و ٦٥ كوبك فسمحت لنفسى بان أنبه بان قيمة الكمبيالة تزيد عن القيمة الأصلية بما قدره ٢٠٠ روبل فأجابنى بان ذلك قيمة الصرف والفائدة . فى تقريرى إلى ديوان الخارجية والمرفق منه نسخة طبق الأصل ، سترى معاليكم (سموكم) أن ابراهيم بك أهدانى بمهرة عربية رائعة طالبا منى أن أتصرف بها على أحسن وجه .

واعتقد أن إهدائها الى معاليكم وتقديمها عنكم الى السمو الإمبراطورى الدوك الأعظم يعتبر أحسن استعمال لتلك المهرة . لم يسبق أبدا أن تكون مهرة عربية مثل هذه المهرة قد خرجت من مصر لهذه المهرة أرجل دقيقة وعينان جمليتان وشعرها رمادى لون الحديد .

اما مراد بك فقد أهدانى بسيف بديع وأرجو من فخامتكم التصرف فيه ويليق بهذا السلاح ان يحمله احد المارشالات .

وإننى بكل طاعة فى أنتظار أوامركم

كما اننى لى الشرف أن أكون

خادم سموكم